بنتُ الجزيرة

ألقيت بكلية التربية للبنات بجدة عام ١٣٩٩ ونشرت بمجلة الدارة

أنا بنتُ الجزيرةِ الشمّاءِ
مهبط الوحي، معقل الأنبياءِ
درج النورُ في رباها، فكانت
ملتقى الأرض دائما بالسماءِ
منذُ دبّت خطى الخليل عليها
لم يهبها من غير زرع وماءِ
ترك الطفلَ في حضانة أمٍّ
روّض اللهُ روحَها للبلاءِ
لم تقل: كيف أيها الشيخُ أبقى
عبر وادٍ مستوحشٍ متنائي
لم تُفكّر في طفلها في فراق
في مصيرٍ حفّتهُ كفُّ الفناءِ
هكذا الزوجُ: طاعةٌ وامتثالٌ
كم تداعى بالخُلفِ صرحُ البناءِ

●●●

هكذا جدّتي، أصِخ يا زماني
هل يُماري مُستكبرٌ في انتمائي
"هاجرٌ" جدّتي وأمي وأختي
طبعتنا على الفِدا والوفاءِ

فانطلقنا أُمًّا وأُختًا نُحاكى
إنّما المادُ صورةٌ للإناءِ
كيف ننسى تُراثَنا ؟ كيف أُلقى
قِيَمَ الخيرِ والجمالِ ورائى
كيف نصغى لمن تقولُ درجْنا
فى ظلامٍ مُستغلِقٍ فى انطواءِ
كذبَ القومُ . أين شِعرُ خُناسٍ
حدّثونى عن مثلِه فى الصفاءِ
حدثونى عن جامعاتٍ أعادَتْ
مثلَها اليوم .. ذاكَ محضُ افتراءِ
نحن كنا للدهرِ مُذ كان دهرًا
مصدرَ الخيرِ والثناءِ والعَطاءِ
ارتقى الفكرُ عَبرَ أمى وأختى
لم يعُقْه جدى وَلا آبائى
جدتى "هاجرٌ" و"أُسماءُ" أمى
حَدّثيهم يا أرضُ عنّ أُسماءِ
حين نادت يا واحدى كن شجاعا
رغمَ زحفِ الهزيمةِ النكراءِ
قف وناضل عن مبدإٍ ذُدتَ عنه
لاقِ ، واصدق يا مهجتى فى اللقاءِ
ربما مثّلوا بجُثّةِ حُرٍّ
ربما مُزّقت إلى أشلاءِ

هل يضرُّ الشياهَ سَلْخُ إهابٍ
بعد موتٍ، لا تخشَ حرَّ بكائي
سوف تبقى يا ناظريَّ مِثالاً
تحتذيه مواكبُ الشُّهَداء

●●●

هكذا أمَّنا، أَيُنكرُ عصري
أنها قِمةُ الثنا والفداء
و"الحميراءُ" هل وعوا كيف كانت
تتصدّى للدرسِ والإفتاءِ
حدثيهم يا أرضَنا كيف كانت
أمَّنا أمس قِمةً في الذكاء
نصف هذا التشريع عنها أخذنا
وحفظنا الحديثَ دون التواء
هي بحرٌ يا حاضري، هات أخرى
مثل بنت الصديق بين النساء
لن تجودي يا جامعاتُ بأمٍّ
مثل أمي، لا تبخسوا أشيائي
لا تقولوا: كان التخلفُ فينا
ذاك قلبٌ لمنطق الأشياءِ
أنا بنتُ الجزيرة الشماء
لن ينالوا مهما ادعوا من سمائي

وحجابي ما عاق يوما سباقي
كيف نصغي لمثل هذا الهُراء
سيظل الحجابُ رمز عفافي
ونقائي به أصون حيائي
كيف أُلقيه ؟ كيف أُمضي ودربي
ينهش الذئب شاته في اجتراء
قد مضينا للدرس ما عاق فكري
واستجبنا للجبر والكيمياء
وانطلقنا عبر المعامل نبني
أمّةَ المجد والعُلا في مضاء

●●●

يا حجابي مهما ادّعوا سوف تبقى
لا أُبالي بهذه الأصداءِ
أَوَنُلقي بالدُّر دون سياج
كيف نُلقي بُدَرّةٍ في العَراء
تعصف الريحُ والبروق وتودي
بِسَنَاها وحسنها الوضّاءِ
فليقولوا : تخلّفٌ . تلك دعوى
ردَّدَتْها من بعدهم ببغائي
إن ردّي على اتهاماتٍ جيل
ضلّلَتْه مناهجُ الغُرباء
إنني هاهنا أواكب عصري
لم أُقصر في نهضة أوبناء

يشهد المعملُ الحديثُ بسبقي
وانطلاقي وينحني لذكائي ..

●●●

أنا بنت الجزيرة الشماءِ
لن ينالوا مهما ادّعوا من سمائي

نشرت بمجلة الدارة
١٣٩٩هـ